آيــات البكــاء في القــرآن الكريــم
دراسة موضوعية

د. حسين درويش حنتوش الجمعي
رئاسة ديوان الوقف السني / كلية الإمام الاعظم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعــد:-

فإن البكاء صفة بشرية خلقها الله سبحانه وتعالى في هذا الانسان وبكى جميع بني آدم في الصغر ويبكون في الكبر وذكر القرآن البكاء في عدة آيات سنبحثها في بحثنا ان شاء الله ، **فالبكاء نوعان:-** البكاء المحمود ، والبكاء المذموم .

فالبكاء المحمود : هو ما كان سببه الخوف من الله والخشوع في الصلاة والتفكر والتدبر لآيات القران الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ الأنفال: ٢ – ٣

والبكاء المذموم: وهو ما كان فيه إعتراض على الله ونياحة وجزع ونفاق وغير ذلك.

فجاء هذا البحث:- يتناول دراسة البكاء في آيات القرآن دراسة موضوعية فهي محاولة للوقوف على معرفة مقاصد القران وحكم البكاء في كتب التفسير والسنة النبوية الشريفة ففهم البكاء له فوائد فحاولت احصاء الآيات التي ذكرت البكاء بكل انواعه ومقارنته مع الضحك معتمدا على المصادر اللغوية وكتب التفسير والسنة النبوية وكتب الفقه وغيرها وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وقد اشتمل هذا البحث على :

مقدمة ومبحث تمهيدي واربعة مباحث هي:

المبحث الاول – آيات بكاء الخشوع

البحث الثاني – بكاء الحيل وبكاء غير الانسان

المبحث الثالث – الآيات المشتملة على الضحك والبكاء

المبحث الرابع – ألفاظ لها صلة بالبكاء

ثم الخاتمة وابرز ما توصلت اليه .

مبحث تمهيدي
في معنى البكاء وأسبابه

اولا- معنى البكاء

ورد لفظ البكاء باللفظ الصريح في القران الكريم سبع مرات ومرتين في لفظ تفيض من الدمع سنتحدث عنها في محلها.

البكاء لغة : بكاء بكى البكاء بقصد وعمد ، قال الفراء وغيره إذا مددت أردت الصوت وإذا أقصرت أردت الدموع بكى يبكي بكاء وبكى ، قال الخليل من قصره ذهب به إلى معنى الحزن ومن مدة ذهبيه إلى معنى الصوت[١] .

وبكى بكاء بكى يبكي مشتق من الفعل الثلاثي بكى فهو بالمد بالصوت والقصر خروج الدموع [٢]

والبكاء في الاصطلاح : هو سيلان الدموع عن حزن وعويل. [٣]

والبكاء سيلان عن حزن [٤]والبكاء لا يحتاج إلى تعريف فهو فطرة تمر به تعتري الإنسان إذا أصابه حزن أو الم أو يبتني من أسباب البكاء الكثيرة فهو من المباح بشرط لا يصاحبه مما يغضب الله تعالى من إغراض على قضاء الله وقدره قال عليه الصلاة والسلام إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم [٥] .

---

(١)لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ مادة ، بكى/ج٨٢/١٤

(٢)مختار الصحاح : زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)تحقيق: يوسف الشيخ محمد: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م /ج٦٢/١٠

(٣) معجم مفردات ألفاظ القران/ج٦٩/١

(٤)التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م /ج١٤١/١ .

(٥)صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر : دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ (٢/ ٨٤) بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ برقم (١٣٠٤)

ثانيا – أسباب البكاء

للبكاء أسباب كثيرة عد منها ابن القيم عشره:

١. بكاء الرحمة والرقة.

٢. بكاء الخوف والخشية.

٣. بكاء المحبة والشوق.

٤. بكاء الفرح والسرور .

٥. بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله .

٦. بكاء الحزن.

٧. بكاء الخوف والضعف.

٨. بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس.

٩ . ا البكاء المستعار والمستأجر عليه كبكاء النائحة بالأجرة فإنها تبيع عبرتها.

١٠. بكاء الموافقة وهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر ورد عليهم فيبكي معهم [١] وهناك أنواع كثيرة من أنواع البكاء كبكاء المظلوم الذي اغتصبت أرضه وماله ووطنه وكذلك بكاء الخشوع وبكاء اليأس والقنوط والبكاء من الجوع والمرض والمهم أن لا يعتقد بعض الناس أن البكاء دليل على صحة العمل .

(١)زاد المعاد في هدي خير العباد محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ): مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م /١/٧١

المبحث الأول
بكـــــاء الخشـــــوع

بكاء الخشوع : قال تعالى ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [١] وقال ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ [٢] معنى الخشوع : هو من خَشَع يَخْشَعُ خُشوعاً واخْتَشَع وتَخَشَّعَ: رَمَى بِبَصَرِهِ نَحْوَ الأَرض وغَضَّه وخفَضَ صَوْتَهُ، وهو الخضوع [٣] وعرفه كثير من العلماء تعريفات معناها متقارب قال مجاهد هو الخشوع وهو غض البصر وتخفيض الجناح [٤] وقال الحسن هو الخوف الثابت في القلب [٥] وقال الطبري : هو التواضع والتذلل والانكسار [٦] ، فالخشوع والتواضع والتذلل بمعنى واحد ، وهو الخوف من الله تعالى مما يؤثر على الجسم فيغض البصر ويخفض الجناح ويصل إلى البكاء من خشية الله تعالى فالبكاء هو الخشوع والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة فيما يوجد القلب [٧] .

أمثلة عن بكاء الخشوع: .

أولاً . بكاء النبي (ﷺ):

أ . بكاؤه(ﷺ)رحمة ورقة على أمته

إن مما خص الله به النبي محمدا ﷺمن بين سائر الأنبياء والمرسلين أن انزل عليه القران الكريم فهو آخر الكتب السماوية نزولا وختم بنبوته النبوات وبرسالته جميع الرسالات وبعثه إلى الناس

---

(١)سورة الإسراء آية (٩١)

(٢)سورة مريم (٥٨)

(٣)لسان العرب مادة :خضع(٨/ ٧١)

(٤)تفسير يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م /٣٩٢/١

(٥)المصدر نفسه /١٧/١

(٦) تفسير الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م /١٧/١

(٧)معجم مفردات القران ١٦٦/١٠/الراغب

كافة وأعطاه من صفاته جل وعلا صفة الرأفة والرحمة وهما أهم أنواع البكاء قال تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [١] فكان بكاؤه عليه السلام رقة ورحمه ويبكي عند سماع القران خشوعا وخوفا من الله ورأفة بالأمة ورحمة وحرصا وشفقة واشتياقا ومحبة [٢]

ب . بكاؤه ﷺ عند سماع القران

بكى عليه السلام لسماعه قراءة عبدالله ين مسعود رضي الله عنه قال ﷺ اقرأ فقال كيف أقرا وعليك انزل قال إني اشتهي أن اسمعه من غيري قال فقرات النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[٣] قال لي كف أو امسك فرأيت عينيه عينيه تذرفان [٤] فهو أولى بقوله تعالى وإذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال الماوردي في النكت السجود رغبة والبكاء رهبة والطاعة لا تخلص إلا بها [٥] روى أبو داوود واحمد عن ابن الشخير عن ابنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني البكاء [٦] .

ثانيا. بكاء الأنبياء عليهم السلام

فالأنبياء السابقون لنبينا محمد ﷺ بالبعثة عندما يتلى عليهم شيء من الوحي السماوي يشرعون بالبكاء أحيانا وهذا البكاء سببه تفاعل روحي وعقلي عند سماع هذه الألفاظ الربانية بأداء صوت

---

(١)سورة االتوبة (١٢٨)

(٢)ينظر زاد المعاد ٧٢.٧١/١

(٣) صحيح البخاري (٦/ ٤٥) بَابُ {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا} برقم (٤٥٨٣)

(٤) أضواء البيان محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): دار الفكر للطباعة و و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ ٣/٤

(٥)ينظر : النكت والعيون أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ٢٧/٣

(٦)مسند أحمد (٢٦/ ٢٤٢) حَدِيثُ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ،برقم (١٦٣١٧) سنن أبي داود (١/ ٢٣٨) بَابُ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ برقم (٩٠٤) ، السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٢) الْبُكَاءُ فِي الصَّلَاةِ برقم (١١٣٦)

مـؤمن ويولـد الإحسـاس لـدى أهـل العلـم بـان الله يخـاطبهم بكلامـه فيغلـب علـيهم البكـاء لعلـو إحساسهم [١] فيكون العلم سببا للبكاء والخوف من الله تعالى قال عبد الأعلى التميمي ففي العلم فائدة جليلة وهي آية لسبب الخشوع قال النبي ﷺ (من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت الأنبياء والعلماء فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ١٠٩ ﴾ [٢] [٣] هؤلاء هم الأنبياء أولى الناس بمعرفة الوحي واعلم الناس بخالقهم وبصفاته وعلموا حق الله عليهم فكان لابد لهذا العلم من تأثير حقيقي على قلوبهم وعلى أجسادهم فذكرهم القران مادحا ومؤيدا قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾ [٤] قـال بعـض المفسرين فيه دلالة على أن لتلاوة آيات الرحمن تأثير في النفس لأنها متضمنة لتوحيد الله ومحبته وأنهم كانوا يسجدون عند تلاوتها ويبكون عند ذكرها [٥] وقد شمل هذا البكاء والسجود جميع الأنبياء لقوله تعالى (مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ) وهم إدريس عليه السلام ونوح ومن حملنا مع نوح ومن ذرية من

---

(١)زهرة التفاسير محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي ، ٤٤٧٧/٨/

(٢)سورة الإسراء ١٠٩.١٠٦

(٣)سنن الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ) : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٧ تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي (١/ ٣٣٥)، بَابُ مَنْ قَالَ: الْعِلْمُ: الْخَشْيَةُ وَتَقْوَى اللَّهِ برقم (٢٩٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ): السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (٥/ ٨٨)

(٤) سورة مريم

(٥)ينظر أحكام القران علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي (المتوفى: ٥٠٤هـ): موسى محمد علي وعزة عبد عطية : دار الكتب العلمية، بيروت /الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ٢/٤، والمصحف الميسر ١١/٢وتفسير البغوي محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)تحقيق : عبد الرزاق المهدي : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ٢٤٠/٥

حملنا في السفينة وهو إبراهيم ومن ذرية إبراهيم وهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب في قوله تعالى (وَإِسْرَٰٓءِيلَ) ومنهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية [١] بذكر لعيسى عليهم السلام .

ثالثاً . بكاء الصحابة رضي الله عنهم

ولاء الذين ورثو من رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والأدب والأخلاق والعمل ونقلو هذا العلم بأمانة إلى الأجيال اللاحقة فتأثرهم وقصصهم مع الخشوع والبكاء تكاد لا تحصى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [٢] وفي الحديث (من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق إلا يكون أوتي علما ينفعه) [٣] وبكى عليه الصلاة والسلام في قصة أسرى بدر [٤] فالصحابة هم اعلم الناس بكتاب الله تعالى وفهمه وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [٥]

---

(١)البحر المديد أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ٢٢٤هـ)تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان : الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ٤٧٢/٣

(٢) سورة الأنفال آية (٢)

(٣)مُصنف ابن أبي شيبة ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥ هـ)تحقيق : محمد عوامة. (١٣/ ٥٤٢) برقم (٣٦٥٠٨)سنن الدارمي ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى:٢٥٥هـ)تحقيق: حسين سليم أسد الداراني : دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠ م (١/ ٣٣٥) بَابُ مَنْ قَالَ: الْعِلْمُ: الْخَشْيَةُ وَتَقْوَى اللَّهِ برقم (٢٩٩)

(٤)زاد المعاد ٧٢/١

(٥)سورة فاطر آية(٢٨)

المبحث الثاني
بكاء الحيل وبكاء غير الإنسان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول

بكاء الحيل

قال الله تعالى ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾سميناه بكاء الحيلة ، فإن هذا النوع من البكاء هو البكاء المصطنع والمقصود به إخفاء جريمة الغدر والخيانة ، وأرادوا به إظهار أنفسهم أمام يعقوب أنهم أبرياء وكأنهم متأسفين لما جرى ليوسف فقالوا ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

وفي الآية لطائف تكشف الحيل:

الأولى : كذب الله دعواهم فقال(﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾ فهو دم سخلة وليس دم يوسف عليه السلام. (١)

الثانية : اعتذروا بنفس العذر الذي ذكره يعقوب عليه السلام حيث قال ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ فهذا العذر كشف جزء من الزيف عندهم .

الثالثة : حضروا عند أبيهم ليلا بل في ظلمة الليل حتى لا تكشف الدموع المزورة قال تعالى (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ فلوا كانوا صادقين لجاءوا وضح النهار واخبروه الخبر .

الرابعة : إخوة يوسف شككوا بأنفسهم فقالوا اعترافا (وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ) كانوا يقولون أنت لا تصدق قولنا ولو كنا صادقين. (٢)

---

(١)الطبري ٢٠٣/٧

(٢)ينظر الكشف والبيان ٢٠٢/٥. وينظر التحرير والتنوير ٢٤/١٢ وينظر الدر المنثور ٣٧٢/٥

الخامسة : أن يعقوب بكى بأعلى صوته وقال أين القميص ؟ فاخذ القميص وبكى ، تم قال إن هذا الذئب كان بابني رحيما ، كيف أكل لحمه ولم يخرق قميصه .

ملاحظة في هذا القميص شهادات ثلاثة:

١. حين قد قميصه من دبر

٢. حين القي على وجه أبيه ارتد بصيرا

٣ وحين جاءوا على قميصه بدم كذب على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه [١]

السادسة :﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

المطلب الثاني

بكاء غير الإنسان

هناك اثر لوجود الإنسان على الأرض في هذا العالم في عمارة الأرض ببنائها وتشييد مساكنها ومشاريعها وزراعتها وما يتبع ذلك من التعليم واكتشاف علوم جديدة وبناء الأخلاق الحسنة ونشر الفضيلة وإنقاذ العقول من الجهل والشرك والكفر وما يتبع ذلك من قتل ، وغصب حقوق الآخرين وتخريب في كل مناحي الحياة فبهذا قسم البشر إلى صنفين:

الصنف الأول : كان صنفا خيرا .

الصنف الثاني : كان صنفا ضالا مضلا .

فضرب الله مثلا لهذا الصنف السيئ قال تعالى ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [٢] فالمراد هنا بالحديث عن آل فرعون لما وقع عليهم من الهلاك في البحر فهم لا

(١) ينظر جامع البيان الطبري ٢٠١/٧. وينظر بحر العلوم ٣٦٩/٢

(٢) سورة الدخان آيه٢٩

يستحقون أن تبكي عليهم السماوات والأرض[١]، فكيف يكون البكاء في الآية الكريمة قال الماوردي فيها أقوال :

القول الأول : قول الحسن: المراد به أهل السماء والأرض .

القول الثاني : قول مجاهد: إن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحا ، قال أبو يحيى فعجبت من قوله ، فقال أتعجب؟: وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل. [٢]

القول الثالث: قول علي رضي الله عنه: إنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء [٣].

القول الرابع : ما رواه يزيد الرقاشي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ما من مسلم إلا وله بابان باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه) فذلك قوله عز وجل﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ [٤].

ويتبين من خلال أقوال المفسرين أن هنالك فريقان يحكمان ببكاء الأرض والسماء :

الفريق الأول : يقول إن البكاء على الحقيقة ومن هؤلاء ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير مستدلا بحديث (ما من مسلم إلا وله في السماء بابان)الحديث الذي رواه انس بن مالك وبقول الإمام علي رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل [٥].

---

(١) زاد المسير جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)تحقيق: عبد الرزاق المهدي : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ١١٥٣/١

(٢) النكت والعيون ٢٥٣.٢٥٢/٥

(٣) ينظر الكشاف ١٠٠١/١

(٤)سنن الترمذي وقال عنه: بأن هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث – (٥/ ٣٨٠) باب ٣٥ ومن سورة الدخان برقم (٣٢٥٥) المعجم الأوسط سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني : دار الحرمين – القاهرة (٦/ ٢٩٧) برقم (٦٤٥٩)

(٥)زاد المسير ٣٤٥/٧وينظر الاستذكار ١٠٠/١

القول الثاني : يرى أن هذا البكاء ليس عل سبيل الحقيقة بل مجاز قال الآلوسي ﴿ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴾ مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم وهو استعارة تمثيلية تحليلية شبه حال موتهم لشدته وعظمته بحال من تبكي عليه السماء والأجرام العظام [١] وقال الزمخشري في الكشاف إذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم هلاكه بكت عليه السماء والأرض ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مؤمن مات في غربته غابت عنه بواكيه الا بكت عليه السماء الأرض) [٢] وقال جرير فالشّمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تبكي عليك عليك نجوم اللّيل والقمرا[٣]

وقالت أخت الوليد بن طريف ترثي أخاها الوليد بن طريف:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف[٤]

(وذلك على سبيل التمثيل والتخيل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه)[٥] فأقول والله اعلم لا مانع عقلا ان تتكلم الأرض والسماء وان كانتا لا تفقهان كلاما والبكاء ملحق بالكلام قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [٦]عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (" لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ،

---

(١)تفسير الآلوسي ٤٥٥/١٨ وينظر البيظاوي ١٦١/١

(٢)شعب الإيمان : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م (١٢/ ٢٩٥) رواه عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ الْحَضْرَمِيِّ وقال : هَكَذَا وَجَدْتُهُ مُرْسَلًا

(٣)العقد الفريد أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ): دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ (١/ ٨٨)

(٤)شرح ديوان الحماسة : أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ) المحقق: غريد الشيخ وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين : دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م (ص: ٧٣١)

(٥) الكشاف ١١٨٣/١

(٦)سورة فصلت آيه١١

فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ)" [١] فنداء الشجر في الدنيا ، قال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ .[٢]

بكاء الشيطان

كذلك ثبت أن الشيطان يقع عليه التأثر ويبكي قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– (إذا قرأ ابن آدم السجدة في السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله) وفي رواية يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد وله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار [٣]

(١)صحيح مسلم (٤/ ٢٢٣٩) بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ برقم (٢٩٢٢)

(٢)الإسراء ايه ٤٤

(٣)صحيح مسلم ٨٧/١ باب باسم الكفر على من ترك السجود

المبحث الثالث
آيات البكاء والضحك

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
خَلْقُ الله للضحك والبكاء

ـ قولـه تعـالى ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ الـذي يتـدبر وهـذه الآيـة الكريمـة يفهـم منهـا أن الله تعالى هو وحده المتصرف بهذا الكون لوحده لا مؤثر معه فيه فقال (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ) فأن هاتين الصفتين اجتمع فيهما جميع الآدميين على اختلاف العصور والأزمان ومع اختلاف الألسن والألوان ومع اختلاف الأعمار والأجيال المتكلم منهم والأبكم يبكون بنفس الطريقة ويضحكون بنفس الطريقة ما يدل على أن الخالق واحد والمؤثر واحد وهو الله تعالى فقط.

قال القرطبي : (وان ربك هو اضحك أهل الجنة بدخولهم إياها وابكى أهل النار بدخولهم إياها وأضحك من شاء في الدنيا وأبكى من أراد أن يبكيه منهم) فيتبين أن سبب الضحك هو السرور بدخول الجنة وسبب البكاء هو دخول النار فأضحك الله سن الفرحين لما راو من راحة وسرور وانبساط وأبكى الحزين الذي جزع من العذاب تقول العرب أذا أعيب على احدهم الجزع والبكاء أن الله أضحك وأبكى [1] وقال المفسرون في سبب نزول هذه الآية: إنه مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يضحكون فقال (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) فنزل عليه جبريل بهذه الآية فرجع إليهم فقال (ما خطوت أربعين خطوه حتى أتاني جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم إن الله تعالى يقول وأنه هو أضحك وأبكى) .

(١)ينظر معاني القران ١١/٣الفراء ابن عاشور ٢٧/٩٠/ص١٤٢وينظر التسهيل لعلوم التنزيل ٢٢١٤/١

أقوال المفسرين في الآية :

المفسرون رحمهم الله تعالى لهم فيها أقوال فيما يأتي قوله تعالى (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ)

.قال الماوردي فيها أقوال ثلاثة :

القول الأول: إنه قضى أسباب الضحك والبكاء

القول الثاني : إنه أراد بالضحك السرور والبكاء الحزن

القول الثالث: إنه خلق قوتي الضحك والبكاء فان الله تعالى ميز الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان. (١)

وقال العز ابن عبد السلام : اضحك وأبكى قضى أسباب الضحك والبكاء أو أسر وأحزن (٢)

وقال السلمي (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ) اضحك المطيع بالرحمة وابكي العاصي بالسخط واضحك قلوب العارفين بالحكمة وأبكي وابكى عيون العاصين بالحزن والحرقة. (٣)

وقال ابن الجوزي : (وفي هذا تنبيه على أن جميع الأعمال بقضاء الله تعالى وقدره حتى الضحك والبكاء) (٤) .

ـ قال في البحر المحيط في قوله (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ جاء بضمير الوصل وهو في الآيتين الأوليتين(وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ) (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا) حتى لا تنسب هذه الأمور إلى غير الله تعالى مثل قول النمرود: (انا احيي واميت) (٥) .

---

(١)النكت والعيون ج ٤٠٤/٥وينظر اللباب في علم الكتاب ج٤٧٤/١٤

(٢)تفسير العز ابن عبد السلام ١١٥٤/١

(٣)ينظر تفسير السلمي ٢٨٩/٢

(٤) زاد المسير في علم التفسير ١٢١٨/١للحافظ الامام الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ت٩٧هـ /١٢١٨/١ دار البيضاء التراث العربي . بيروت لبنان

(٥)البحر المحيط ٥٠/١/وينظر اعراب القران وبيانه ٣٤١/٧ محي الدين الدرويش اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع /دار ابن كثير دمشق بيروت

والإنسان يجزى على عمله وكسبه (أَضْحَكَ وَأَبْكَى) من كسب العمل الصالح أضحكه الله في الدنيا والآخرة ومن كسب العمل السيئ أبكاه الله في الدنيا وادخله في الآخرة النار .

المطلب الثاني

اللوم على عدم البكاء لسماع القران الكريم

ـ قوله تعالى ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ في هذه الآية الكريمة يوجه اللوم على كفار قريش لعنادهم وعتوهم وعدم الخضوع لسماع القران الكريم عندما يتلى على مسامعهم فقال (﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي كما يفعل الموقنون به [١] أفمن هذا القران أيها الناس تعجبون أن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويضحكون منه استهزاء به ولا تبكون من الوعيد لأهل معاصي الله وانتم من أهل معاصيه وانتم سامدون وانتم لاهون عما فيه من العبر والذكر [٢] فالحديث في هذه الآية يراد به كتاب الله تعالى والمعنى والواجب لا يتوقف على قريش فقط إنما يستمر اللوم على مر الدهور والأجيال واللوم على كل مستهزئ ضحاك عند سماع القران فالأولى ويخشع قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [٣] هو القران الكريم الذي نزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم المكتوب في مصاحفنا المحفوظ في صدور الأمة لا تنتهي عجائبه ولايخلق على كثرة الرد والقراءة و التفسير المتحدي به في كل أوجه التحدي حفظا وإحكاما وإعجازا إلى غير ذلك من أنواع الخلود لهذا القران قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ أذن ينتج من عدم السماع والخشوع وعدم البكاء يقابله الاستهزاء والضحك فيستحق المقصر بهذا الجانب العقاب في الدنيا والآخرة ومنه تظهر علامات الفسق والكفر ومنها :

---

(١)ابن كثير ٢٦٠/٤

(٢)جامع القران عن تأويل القران الطبري تحقيق محمد شاكر دار ابن حزم /دار الاعلام ١٠٢/١٣/

(٣)سورة الزمر آيه ٢٣

١ـ كشف المنافقين الذين يدعون الإيمان والصلاح وهم لا يقرءون القران وعندما يتلى عليهم استهزئوا وضحكوا حسا ومعنا فكيف يبكون

٢. دليل انشغال الناس بأمور أخرى تلهي عن التلاوة والعمل بهذا الكتاب من أحلال حلاله وتحريم حرام لذلك قال ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

٣. ظهور البلاء والعقوبات والإمراض التي لم تكن في الأسلاف .

٤ . فيه يتميز المؤمنون عن غيرهم ببيان آثار تلاوة هذا القران على أجسادهم وقلوبهم وأعمالهم وتربية أولادهم وغير ذلك .

٥ كشف الكذاب الذي يدعي حب الله وحب رسوله وأطاعتهما فالقران هو الكاشف لسلوك هذا الإنسان في هذه الدنيا والآخرة ﴿ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]

المطلب الثالث

كراهية الضحك واستحباب البكاء

ـ قال تعالى ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ تنبيه وتهديد لمن يخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة واهية ويفرح بهذه المخالفة أو الخدمة فكشف الله تعالى المخلفين فقال (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) قال الإمام الطبري (فليضحكوا فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمعتقدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهوهم عن طاعة ربهم فإنهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا (جزاءاً) يقول ثوابا منهم عن معصيتهم بتركهم النصر إذا استنفروا إلى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) بما كانوا يجترحون من الذنوب. [2]

---

(١)سورة الواقعة آية ١٨

(٢)تفسير الطبري ١٠٤/١٤

أقوال المفسرين

(قـال الإمـام المـاوردي (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) [١] هـذا تهديـد وإن خـرج مخـرج الأمـر ففي الضحك وجهان :

الأول : إن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل ، وضحكهم فيها قليل لكثرة ما يتوجه إليهم من تهديد .

الثاني : أن الضحك في الدنيا وان دام إلى الموت قليل لأن الفاني أن طال به الأمد فهو قليل .

(وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) فيها وجهان :

١ لاختلاف الزمن أن يقوم مقداره خمسين ألف سنة ، وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيرا وهو قول الربيع ابن خثيم .

٢ . بكاءهم في النار على التأبيد ؛ لأنهم إذا مسهم العذاب بكوا من ألمه الجسدي ويحتمل أن يريد بالضحك والسرور وبالبكاء الغم) [٢].

الأحاديث

قال ابن طلحة عن ابن عباس (الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عز وجل استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا) وكذا قال ابن زرين والحسن وقتادة والربيع وعون العقيلي وزيد ابن اسلمة. [٣]

---

(١)التوبه ايه٨٤

(٢)النكت والعيون ١٢٩/٢٠

(٣)تفسير ابن كثير ١٩١/٤

الحافظ أبو يعلى الموصلي فيما يروى عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتضرع العيون فلو أن سفنا أزيحت فيها لجرت. [١]

والمعنى العام

١ـ أن ضحك المؤمن لا ينفع إذا كان وراء بكاء طويل ولايفرح المؤمن وبعد هم وحزن طويل ونزلت في الذين احتالوا على النبي ﷺ وفرحوا بهذه الحيلة [٢] وفيه معنى أن المجرم والمخالف لا يريد أن يبكي في هذه الدنيا ويتمنى أن يستمر بالفرح والسرور والضحك ولوكان مرتكبا للجرم الذي يبكي به الناس.

٢ـ وهذا ديدن المجرمين في العالم يريد أن يسر ويضحك ولو كان ضحكه يؤدي إلى بكاء غيره قال تعالى (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا).

(١)الحافظ ابو يعلى ابن ماجه من حديث الاعمش

(٢)ينظر ابن عاشور

المبحث الرابع
ألفاظ لها صلة بالبكاء

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

بكـــاء النصـــارى

ـ قـال تعـالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] فيضـان الـدمع لـه سـبب إذا امـتلأت وزاد الـدمع حتـى فـاض[2] يبين مدى تأثرهم بسماع القران الكريم وهم قوم لهم رقة في قلوبهم ويظهر مدى تعلقهم بهذا السماع وإنصافهم أنفسهم وجماعاتهم وذلك بتأييدهم واعترافهم أن هذا وحي ويشبه الكلام الذي كان قد نزل على عيسى عليه السلام فهذه الآية قد ورد في سبب نزولها حادثتان :

الأولى : قيل إنها نزلت في النجاشي ومجموعة من أصحابه آمنوا معه لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه الذين هاجروا معه إلى الحبشة فأرسلت قريش خلفهم عبد الله ابن أبي ربيعة وعمر ابن العاص لعلاقتهم الحميمة بالنجاشي ثم طلبوا منه تسليم المسلمين المهاجرين إليهم ليعيدونهم إلى مكة بعد أن بعد أن قدموا الهدايا للنجاشي الجزية فقالوا للنجاشي هؤلاء غلمان سفهاء فارقوا دينهم وجاءوا بدين جديد وأيدهما البطارقة ولكن النجاشي قال والله لا أسلمهم إليهم ولا أكيد بقوم جاوروني ونزلوا ببلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسألهم ماذا يقول هؤلاء في أمرهم فان كانوا كما يقولون أسلمهم إليهم وان كانوا غير ذلك منعتهما منهم وأحسنت جوارهم وأجاروني فدعا النجاشي المسلمين جعفر بن أبي طالب وجماعته المهاجرين فسألهم قائلا ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من هذه الأمم فكلمه جعفر بن أبي طالب قائلا أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار يأكل منا الضعيف فكنى على ذلك حتى بعث الله إلينا نبيا ورسولا منا

(١)سورة المائدة :٨٣

(٢)الكشاف ٣٠٥/١

نعرفه ونسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الله إلى الله لتوحيده ونعبده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وعد للنجاشي أمور كثيرة ثم قال جعفر أيها الملك هؤلاء يريدون أن يعيدونا إلى عبادة الأوثان فلما ظلمونا وقهرونا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك (قال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم فقرأ عليه أول سورة مريم (كٓهيعٓصٓ) ومر بقوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ﴾ حتى اكتملت قال فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم ثم قال النجاشي إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة فقال لمشركي قريش عبد الله وعمر ابن العاص آنذاك انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا ولا أكيد بهم ثم جاءوا مرةً أخرى فقالوا هؤلاء يطعنون بعيسى ابن مريم فسألهم النجاشي مرة أخرى ماذا تقولون في عيسى ابن مريم فقال له جعفر بن أبي طالب نقول به الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته التي ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه فضرب النجاشي يده في الأرض فاخذ منها عودا ثم قال ماعدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود).[1]

(١) انظر جامع البيان عن تأويل القران ٥/ ٥ وينظر هداية الحيارى ٤٧/٤٦/١ . وينظر اسباب النزول الواحدي النيسابوري ١٥١/١

سبب النزول

إن النجاشي أوفد اثنتي عشرة رجلاً من الحبشة إلى النبي ﷺ سبعة قسيسين وخمسة رهبانا فقرا عليهم ما انزل فبكوا وآمنوا وفي رواية أخرى ان الذين آمنو بالإسلام وأوفدوا من قومه سبعين فدخلوا على النبي ﷺ فقرأ عليهم﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ ﴾ فبكوا وعرفوا الحق فانزل الله الآيتين وقيل الوفد الذي قدم مع جعفر ابن أبي طالب من الحبشة وأصحابه سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثياب الصوف وقال ابن كثير قال ابن عباس كانوا كرابين يشتغلون بالفلاحة قال الواحدي ثمانية من الشام واثنتان وستون من الحبشة منهم بحيرا الراهب وأبرهة وإدريس واشرف وتمام وقثم وذر وأيمن فقرا عليهم صلى الله عليه وسلم (سورة يس) إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القران وآمنوا [١] وقال سعيد بن خبير كانوا ثلاثين رجلا [٢] قال السدي كانوا اثني عشر رجلا فكان هذا سببا في إسلام النجاشي ملك الحبشة لسماع القران ومات مسلما ونعاه النبي ﷺوصلى عليه صلاة الجنازة [٣] ونعاه النبي ﷺ إلى أصحاب النجاشي ملك الحبشة ثم تقدم النبي ﷺ وصلوا خلفه وكبر أربعا وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ (مات اليوم رجل صالح فقوموا صلوا على أخيكم اصخمة). [٤]

المطلب الثاني

البكـاؤون

قال تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝٩٢ ﴾ [٥] .

(١)اسباب النزول الواحدي١٥٢/١ وينظر زاد المسير ٣٣/١ وينظر الوسيط في تفسير القران المجيد ٢١٧/٢
(٢)زاد المسير ٣٣٩/١
(٣)البخاري ٤٤٣/١
(٤)البخاري باب ١٤٠٧/٣/٦٧ معرب البخاري
(٥) سورة التوبة : ٩٢

ذكر الواقدي ان مجموعة من الصحابة لم يجدوا شيئا يحملهم للمشاركة في معركة تبوك قال وجاء البكاؤون وهم سبعة تستحملونه وكانوا أهل حاجة فقال النبي ﷺ (لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ) وهم سبعة من عمر بن عوف بن عميرة فقد شهد بدرا لا اختلاف فيه عندنا ومن بني حارثة علية بن زيد وأبو ليلة عبد الرحمن بن كعب وعمر بن عتبة من بني سلمة ومن بني زريق سلمة بن صخر ومن بني سليم عرباض بن سارة السلمي ويقال عبد الله بن معقل المزني وعمر بن عوف المزني ولما خرج البكاؤون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أعلمهم انه لا يجد ما يحملهم عليه إنما يريدون ظهرا لقي بنيامين بن عمير بن كعب بن شبل النظري أبا ليلى المازني وعبد الله بن مغفل المزني وهما يبكيان فقال ما يبكيكما قالا جئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتفق به على الخروج ونحن نكره ان تفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فقد سبب بكاء هؤلاء أسفا على ما فاتهم من الجهاد [٢] وفي قوله تعالى (تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ)ابلغ من قول تفيض دمعا لان العين لها دمع فائض[٣] وكذلك يتبين حرص المسلمين نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودين رب العالمين فبهذه الروح العالية انتصروا ووفقهم الله بقيادة العالم وإيصال نور الإسلام إلى بقاع المعمورة. [٤]

(١) ينظر المغازي ٩٩٤/٣وينظر تهذيب سيرة ابن هشام ٩٨/٢ عبد السلام هارون وينظر تاريخ الطبري ١٠٢/٣ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف ط/٤

(٢)البداية والنهاية ٥/٥ . ينظر خاتم النبيين ١٠٧٦/٢ الامام محمد ابو زهرة دار الفكر العربي

(٣)ينظر الكشاف ٤٤٦/١

(٤)ينظر في ظلال القران

المطلب الثالث

بكــاء يعقــوب

بكاء يعقوب عليه السلام قال تعالى ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ ﴾

الأبيض هو السريع الحزن فعيل فاعله ، العبرة هي الدمعة قبل أن تفيض أو ترد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء [١] والأبيض عرق ابيض سمي به لكونه ابيض ولما كان البياض أفضل لون عندهم كما قيل البياض أفضل والسواد أهول [٢] فالبياض في الوجه مدح قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٣] أي الآية أما ما ورد في قوله تعالى ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ ﴾ [٤] أي انقلبت عينه صار البياض بسبب الحزن على أبيه يوسف وذكر العلماء فيه قولان :

الأول : قول مجاهد : إنه ذهب بصره .

الثاني: ضعف بصره لبياض يغشاه من كثرة البكاء [٥] قال الماوردي وقال مقاتل لم يبصر بعينه ست سنين وقال ابن عباس (مِنَ ٱلۡحُزۡنِ) أي من البكاء يريد أن عينيه لم تبيضا لكثرة بكائه فلما كان الحزن سببا للبكاء سمي البكاء حزنا .

قال الحسن البصري : ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه وما احد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره [٦].

---

(١)القاموس المحيط ٥٥٨/١

(٢)المفردات ١٦٦/١

(٣)سوره آل عمران: ١٠٧

(٤)سورة يوسف : ٨٤

(٥) روح المعاني ٢٦/٤

(٦)زاد المسير ٤٥٩/٣

وقال القرطبي قال النحاس إن لحزن يعقوب عليه السلام ثلاث أوجه منها :

الأول : إن يعقوب عليه السلام لما علم أن يوسف عليه السلام حي خاف على دينه فاشتد حزنه على ذلك .

الثاني : قيل إنما حزن على يوسف لأنه سلمه إليهم صغيرا فندم على ذلك .

الثالث : قيل لأنه اشتكى بقوله واحزناه [١].

وقال الآلوسي : وابيضت عيناه من الحزن بسبته وهو في الحقيقة البكاء والبكاء سبب لبياض عينيه فان العسرة إذا كثرت محقت سواد العين وقلبه إلى بياض كناية عن العمى ويقال عن أبي حاتم ان(جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في اليمن فعرفه فقال أيها الملك الكريم على ربه هل لك علم بيعقوب فقال نعم قال ما افعل قال ابيضت عيناه من الحزن عليك قال من بلغ الحزن قال حزن سيعين مشكلة قال هل له على ذلك من اجر قال نعم اجر مائة شهيد وقرء ابن عباس (مِنَ الحَزَنِ) بفتح الحاء والزاي وقرأ قتادة بالضم واستدل بالآية على التأسف والبكاء عند النوائب ولعل الكف من ذلك لا يدخل تحت التكليف قل من يملك نفسه عند الشدائد وروى الشيخان من حديث انس (انه صلى الله عليه وسلم بكى على ولده إبراهيم وقال ان العين لتدمع وان القلب ليخشع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وانأ على فراقك يا إبراهيم لمحزونون) [٢]

(١)تفسير القرطبي ٢٤٨/٩

(٢) تفسير الآلوسي ١٠٩/٩

الخـــاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعـد –

جاءت نتائج بحث آيات البكاء بالفقرات التالية:–

١–وقفنا على معاني البكاء في اللغة وحسب وروده في كتاب الله

٢–بيان اسباب البكاء وما كان منها محمودا ومنها مذموما ولكل سبب وحكم

٣–ضربت امثلة للبكاء المحمود ومنه بكاء النبي عليه السلام والصحابة

٤–حكم البكاء المذموم هو التحريم لأنه يجر الى الاعتراض على الله ومنه المباح وكل مبين في مكانه(فقد جاءت الرخصة في البكاء عند المصيبة في غير نوح، فقد بكى رسول الله –صلَّى الله عليه وسلم– على ابنه إبراهيم، وقال لابن عوف: "إنها رحمة، وإن العين لتدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا") رواه البخاري

٥–اللوم على عدم البكاء لسماع القرآن

٦–بيان ان هناك الفاظ لها صلة بمعنى البكاء مثل قوله (تفيض من الدمع) .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى صحبه وسلم.